السوفياتي تجاه المنظمة بطابعه. وما نعنيه، هنا، بـ «التناسب الطردي» هو انه كلّما بدا التراجع ملحوظاً على الدور السوفياتي في الشرق الاوسط، خصوصاً منذ ان بدأ كيسنجر سياسة «الخطوة خطوة» التي أثمرت انجاز اتفاقيتين لفصل القوات على الجبهتين، المصرية والسورية، كلّما كان على موسكو اللجوء الى المنظمة، بغية ادخال عناصر اخلال في هذه المعادلة.

لا شك في ان استمرار تدهور المواقع السوفياتية بهذا الشكل، وبدء الولايات المتحدة الاميركية بالاستفادة من «ملء الفراغ» السوفياتي في المنطقة، حثّا موسكو، في غير مناسبة، على حصر تحرّكاتها وتعليقاتها على التنبيه من مخاطر أية اتفاقيات اميركية ـ مصرية سريعة، تتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني[٥٨]. وبالطبع، لم تستنكف موسكو عن الربط بين هذين العنصرين، ولكن هل كان في استطاعتها تجنّب ذلك؟

مهما كان أمر العلاقة السوفياتية ـ المصرية، فقد كانت الانباء تتداول، منذ نهاية العام ١٩٧٣، احتمال لقاء بين الطرفين، المصري والسوفياتي، للتباحث في مرحلة ما بعد فصل القوات. الّا ان مثل هذا اللقاء لم يتمّ الّا عشية التوقيع على الاتفاقية. ففي ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤، استقبل غروميكو السفير المصري في موسكو. وبدا من البيان الذي أُصدر في ختام اللقاء ان ثمّة مصاعب كانت تخيّم على العلاقات الثنائية. كما بدا من تعليقات عدّة ان وزير الخارجية السوفياتية انتقد «الاعجاب» المصري بجهود الولايات المتحدة الاميركية[٥٩]. وكان واضحاً ان موسكو لم تكن مرتاحة للدور الذي باتت واشنطن تلعبه لفصل القوات في سيناء. ويبدو ان هذا الشعور عبّر عنه الجانب السوفياتي لوزير الخارجية المصرية، الذي زار موسكو بعد توقيع اتفاقية فصل القوات بثلاثة أيام. ويبدو، ايضاً، بحسب ما ذكره اسماعيل فهمي، فيما بعد، ان السوفيات كانوا يعتقدون بأن مصر كانت تستطيع ممارسة مزيد من الضغط للحصول على جدول زمني للانسحاب الاسرائيلي من على جميع الاراضي العربية المحتلة، وعلى موقف اسرائيلي محدّد بشأن قضية الشعب الفلسطيني. في هذا الاطار يمكن فهم مغزى الخطاب الذي ألقاه غروميكو في حضور الوزير المصري، حين قال: «ان الاتحاد السوفياتي سيبذل قصارى جهده من أجل انجاح مؤتمر جنيف وايصال قضية التسوية في الشرق الاوسط الى نهايتها، على ان تتضمّن، أولاً، انسحاب اسرائيل الكامل من [على] الاراضي التي احتلتها، وثانيها الضمان الكامل للحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني»[٦٠]. كذلك أشار بريجينيف، من جهته، الى اتفاق فصل القوات، في خطاب ألقاه في اثناء زيارته لكوبا، في نهاية كانون الثاني (يناير)، بقوله انها خطوة ايجابية، لكنها لا تتعدّى كونها «تدبيراً جزئياً له طابع محض عسكري، ولا يتناول، حتى الآن، سوى بلد عربي واحد من البلدان التي اشتركت في الحرب». وحذّر من مغبّة التوقّف عند هذا الحدّ في تسوية مشكلة الشرق الاوسط[٦١]. وكتب احد أبرز المعلّقين في صحيفة «برافدا»، بولشاكوف، مقالة، أعرب فيها عن الأمل بأن تشكّل اتفاقية فصل القوات «الخطوة الاولى» نحو انسحاب اسرائيلي كامل، وحماية الحقوق الشرعية للفلسطينيين. كما أعلن رئيس مجلس الاتحاد بمجلس السوفيات الاعلى رئيس الوفد البرلماني السوفياتي، الكسي شتيتياكوف، الذي كان يزور القاهرة، ان اتفاقية فصل القوات «اجراء مرحلي مؤقت»، لا بدّ من ان يؤدي الى تحرير جميع الاراضي العربية المحتلة[٦٢].

هكذا أظهر الموقف السوفياتي، خلال الفترة التي أعقبت توقيع اتفاقية فصل القوات على الجبهة المصرية، الصعوبات التي واجهتها موسكو في التكيّف مع الوضع الجديد. من هنا يمكن الاعتقاد بأن الزيارة التي قام بها غروميكو، في مطلع آذار (مارس) ١٩٧٤، للقاهرة كانت، بصورة أو بأخرى،